سينما

فيلمان أفريقيان في مهرجان خريبكة

غلبة التوثيق في معاينة أحوال وحالات

في «المهرجان الدولي للسينما الأفريقية بخريبكة الـ 22» في المغرب، تناول فيلمان أفريقيان أحوال أناس يخافون الفقر والسّحر والجفاف

محمد بنعزيز

ماذا يجري في الصحراء الكبرى؟ تتحدّث عناوين وسائل الإعلام عن تمدّد الإرهاب، وجفاف ساحق يهرب منه الرجال إلى محيط سبتة للهجرة إلى إسبانيا، بينما يبقى الأطفال والنساء هناك، شمالي النيجر، يدفعون الثمن. ساكنة، إحدى أولئك النساء. لا رجال بين 20 و50 عاماً. مزّق الترحال الدائم حياة الأسر. عَكَس حالُ المدرسة هشاشة حضور الدولة. تنعدم الحاجات الأولية للبقاء على قيد الحياة. جوع ومرض. هناك شكّ في أنْ تُفيد الأعشاب الطبية من يعاني سوء التغذية، ونقصها. في «رحلة من أجل الماء» (2021)، كترجمة غير حرفية للعنوان الفرنسي Marcher Sur L'eau (المشي على المياه)، للمخرجة الفرنسية آيسا مايْغا (المولودة في داكار، السنغال)، المُشارك في مسابقة الأفلام الوثائقية، في الدورة الـ22 (28 مايو/أيار ـ 4 يونيو/حزيران 2022) لـ«المهرجان الدولي للسينما الأفريقية بخريبكة» (المغرب)، رحلات لجلب الماء في صحراء النيجر. رحلات يومية طويلة إلى بئرٍ، يبعد 10 كلم. هذا وثائقي مؤلم من أفريقيا: نساء يبحثن عن الماء. كهول مُنهكون، يبحثون عن مراعٍ للماشية، ويطاردون الحشائش في مناطقَ يهطل المطر فيها شهرين في العام، والباقي جفاف. طفلة حافية تستحمّ بلتر ماء. كتل هوائية، ودرجات حرارة مرتفعة للغاية، تجعل الحياة جحيماً في تلك الصحراء. هذا كلّه يتسبّب في إنهاك بدني للأطفال. لذلك، صارت المدرسة تعمل ليلاً، من دون كهرباء. صار المعلّم والتلاميذ يُلصقون مصابيح فوق جباههم، كعمّال المناجم، لأنّ النهار بالكاد يكفي لجلب الماء. في هذا الخراب، توفّر المدرسة إضاءة ذاتية، ورؤوساً منيرة. هذه استعارة دالّة. يمرّ الزمن، وتتعمّق الأزمة. مطلوبٌ علفٌ للماشية، كي لا تموت. الدولة ضعيفة، ووجودها هشّ. يحضر شيخ قبيلة لإيصال رسالة إلى العاصمة البعيدة جداً، والصمّاء.

جديدُ الفيلم أنّ الكاميرا (رُسُلان ديون) تؤدّي دوراً في مصير السكان. جاءت مايْغا، ومعها جمعية خيرية. غيّر التصوير حياة الناس. بفضل الكاميرا، جاءت جمعية، وحَفَرت بئراً، غيّرت المنطقة. المحتاجون، الذين لا تصلهم الكاميرات، لا ينالون مساعدة. يستمرّ بؤسهم في أفريقيا.

هذا فيلم كثيف. حكاية مُشبعة بالأمل والحياة، لأنّ السوداوية ترعب الجمهور. فيلم مليء بصُوَر سينمائية، عن حياة الرُحّل في الصحراء الكبرى. فيافي صفراء في لقطات عام، ولقطات وجوه أطفال، عيونهم جاحظة، وجباههم بارزة. كاميرا في مواجهة اللامتناهي الكبر واللامتناهي الصغر، يجمعهما مونتاج (إيزابيل دوفِنْك وليندا أتاب أبـنِفِن) جدلي، تتوالى فيه اللقطات بالتناوب، بين المتناهي الكبر والمتناهي الصغر. تستخدم آيسا مايْغا كاميرا محمولة في طائرة «درون»، تُحلّق للحصول على مسافة كبيرة بين الكاميرا، وما تُصوّره.

هكذا تكشف الكاميرا صغر حجم الإنسان كنملة، في مقابل لا نهائية الصحراء. يشعر المُشاهد بالرعب من هذه الفوارق. لكنْ، للإنسان سلاح أقوى يحميه من الفناء: المدرسة والآلة لهزم الطبيعة. بفضل الآلة، خرج الماء من قاع الأرض، بعد توقّفه عن الهطول من السماء.

هذا وضع نساء النيجر في مواجهة حاضرهنّ، وهذا أقلّ خطراً من حال نساء كينيا، اللواتي يواجهن خطراً أشدّ في «الرسالة» (The Letter، 2020) لكريس كينغ ومايا لوكاو: يتسكّع شابّ مديني من كينيا على صفحات فيسبوك، فيصادف صُوراً وخبراً عن امرأة شريرة. يبحث، فيكتشف أنّ تلك المرأة، سيئة السمعة، هي جدّته. يسافر من مومباسا الشاطئية إلى قرية بعيدة في خطّ الاستواء، للتحقيق في سبب اتهام جدّته، البالغة 94 عاماً، بسوء السمعة.

حقّق «الرسالة» نجاحاً دولياً. إنّه يُصوّر واقعة من عمق أفريقيا، في 81 دقيقة. يُصوّر صعوبة الحياة في بيئة قاسية. هنا، يصير كلّ فم مشكلة. يُفَسّر البؤس الاقتصادي بالسِّحر والشعوذة. تدخّل الكاهن الأنغليكاني ليحرّر أجساد المُسنّين من الشرّ. يُردّد الكاهن: «الله نور، الله نور». يضيف: «صغيراً، كنتُ أتصوّر الله مثل جدّي». هكذا يحاول الكاهن حماية المُسنّين، مُنتبهاً إلى الذهنية السائدة في المنطقة البعيدة عن الحضارة.

منذ انتشار المسيحية والإسلام في المنطقة، صار يُنظر إلى تهديد حياة المُسنّين بأنّه فعلٌ شيطاني. تراجع التهديد في المناطق المتمدّنة، لكنّه بقي يعمل في المناطق النائية. لاحتواء الوضع، بُني ملجأ خاص بالمُسنّين، لحمايتهم من القتل. من هذا الملجأ، قدّم كريس كينغ ومايا لوكاو كتالوغاً من الوجوه المرعوبة والشاحبة واليائسة. ترفض الجدّة مغادرة بيتها للاحتماء في ملجأ المُسنّين، رغم شعورها بالتهديد.

تُروّج فكرة أنّ سببَ المصائب روحٌ شريرة، تسكن كبار السنّ. صار الأطفال يتحلّقون حول التلفزيون، أو الهاتف. لم يعودوا يتحلّقون حول الجدّة، لتحكي لهم حكايات. الرسالة الفيسبوكية فيلمٌ، يمسك سوسيولوجيا واقعه. حيث يقلّ الطعام، يصير الأكبر سنّاً عبئاً اقتصادياً. لتسهيل الأمر، يُقدّم مُبرّر سحري للتخلص من الأفواه التي يجب إطعامها. القتل بسبب السحر مُبرّر.

أوضاع نساء نيجيريا وكينيا في فيلمين يكشفان أنماط عيشهنّ

«المشي على المياه»: وثائقي مؤلم (الملف الصحافي)

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

برغمان بنظرة نقدية عربية

سينماه تُزاوِج بين الفكر والعاطفة

ندى الأزهري

كتبٌ كثيرة مترجمة إلى العربية صدرت عن إنغمار برغمان (1918 ـ 2007) وله، إنّما لم يصدر، إلى الآن، كتاب مؤلَّف باللغة العربية عن هذا المخرج السويدي المعلّم، و«آن أوان ذلك»، كما يقول الناقد السينمائي والباحث في التاريخ الثقافي والمترجم اللبناني إبراهيم العريس.

تبنّى «مهرجان مالمو للسينما العربية (السويد)» الفكرة. هذه مناسبة لا تفوّت. من جهة أولى، إنّها بداية مُوفّقة لتوجّهٍ جديد للمهرجان، تتمثّل بإصدار كتب ترافق انعقاد دوراته؛ ومن جهة ثانية، الاختيار مُلائم، لأنّ الكتاب عن مخرج من مُبدعي القرن الـ20، في بلدٍ اشتُهر سينمائياً من خلاله. مُخرجٌ له أكثر من 30 عملاً سينمائياً كبيراً، إلى أعمال مسرحية، و«بضعة كتب رائعة المعنى والمبنى». في الدورة الـ 12 (4 ـ 9 مايو/أيار 2022)، صدر «إنغمار برغمان: عالمه، حياته وأعماله، بعينيْ ناقد سينمائي عربي» (112 صفحة، قطع متوسّط)، باللغتين العربية والإنكليزية، وباللغة السويدية قريباً.

رغم أنّ برغمان، الذي قدّم تُحفاً سينمائية فرضت حضورها في تاريخ الفن السابع، أُشبِع كتباً وتحليلاً ونقداً وتقديماً، ربما يكوّن كتابٌ جديدٌ تكراراً لما قيل سابقاً، خاصة بالنسبة إلى العاملين في الحقل السينمائي. لكنّ تأليفَ كتاب باللغة العربية عنه يُعطي صورة أوضحَ، ويُثير متعة أكبر في القراءة، لا سيما مع أسلوب يتّسم بالسلاسة والبساطة، وبلغة جذّابة ومتينة، ما يُتيح للجيل الجديد خاصة، السينمائي وغير السينمائي، في السويد والدول العربية، أنْ يرى في هذا الإصدار مناسبة لاطّلاع مُكثّف وشامل وموجز على اسمٍ سمعوا به، وعرفوا مكانته، لكنْ دائماً من وجهة نظر سويدية أو غربية. ربما تكون معرفته من خلال نظرة عربية حافزاً جديداً لمُشاهدة إضافية لأفلامه، وفهمها بشكلٍ أفضل.

في مُقدّمته، «تمهيد عربي لا بُدّ منه»، توجّه إبراهيم العريس إلى القرّاء قائلاً بمحاولته تبسيط الكتاب، ليكون بمتناول الجميع. 3 أقسام، يستهلّها بـ«حياة مبدع وأفكاره»، المتضمّن محاور عدّة: تعريفٌ بابن القسيس، الذي بات من أشهر وأكبر المؤلّفين السينمائيين في العالم، الذين جعلوا لفنّ السينما مكانة أساسية في فنون القرن الـ20 وأفكاره، كما كتب العريس. سينما برغمان كانت على حدة، شديدة الخصوصية، تزاوج بين الفكر والعاطفة، وتطرح مشكلات الوجود الإنساني والعلاقات البشرية ومعضلات حياة المرأة، ومسائل أخرى كالدين والأخلاق. حقّق برغمان أفلامه ليطرح أسئلة وجودية على نفسه قبل الآخرين، وليتساءل عن جدوى العلاقات البشرية («الصمت»، 1963)، والعلاقة مع الوجود والموت («الختم السابع»، 1957، الفريد في عوالمه)، والشيخوخة («التوت البرّي»، 1957)، والمرض («همس وصراخ»، 1973)، والطفولة («فاني وألكسندر»، 1982).

يُعيد المؤلِّف الغنى الموضوعيّ لأفلام برغمان، في نحو نصف قرن، إلى سيرته الذاتية، وهي سيرة فكرية أيضاً، وإلى المعرفة والتجارب التي شكّلت جزءاً أساسياً من وجوده، ومنها تكوّن هذا المتن البرغماني. يوضح الكتاب تأثير ستريندبرغ، «أستاذه الأكبر»، وتشيخوف وإبسن على أفلامه ومواضيعها، بحيث أصبح التمازج تاماً بينه وبينهم. ويلحظ أنّ شموليته شكّلت هامشيّته، فكلّ فنّ كبير، بالضرورة، فنّ هامشي، والهامشية تجديد لامتوقّع، دائماً، في المواضيع والأساليب. هذا وحده قادر على تغيير الفنّ، وعلاقة الإنسان بالفنّ، وعلاقته بالكون والوجود.

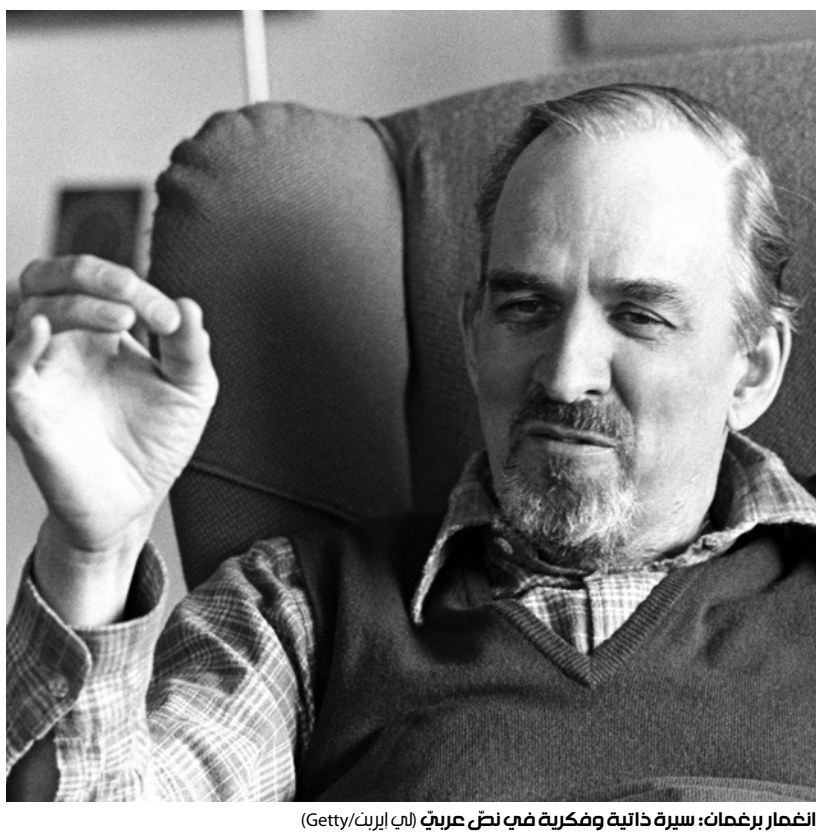

انغمار برغمان: سيرة ذاتية وفكرية في نصّ عربيّ (لي إيربت/Getty)

نص نقدي يحاول تبسيط مضمون الكتاب ليكون بمتناول الجميع

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

أفلام جديدة

■ The Man From Toronto لباتريك هيوز، تمثيل وودي هارلسن وكيفن هارت وكالاي كيوكو (الصورة): يتبادل قاتل معروف باسم «الرجل الذي من تورنتو»، وخاسرٌ يُدعى غرايم، هويتيهما عن طريق الخطأ، بسبب رغبة كل واحد منهما حجز شقّة في نيويورك عبر AirBnb. هذا يؤدّي إلى صدام خفي، فكلّ واحد منهما يختلف عن الآخر تماماً، وسيجدان صعوبة في مواجهة قتلة مُكلّفين بالقضاء على «زميل المهنة».

■ Love And Gelato لبراندن كامب، تمثيل فالنتينا لودوفيني (الصورة) وسول ناني وأوين ماكدونل: لأنّها ترغب في تحقيق الأمنية الأخيرة لوالدتها العجوز، تُقرّر لينا تمضية الصيف السابق على دخولها إلى الجامعة في روما. هناك، في تلك المدينة الساحرة، ستشعر لينا بالحب، وتكتشف عوالمه، وستعرف معنى المغامرة وتحدّياتها وجمالياتها، وفي الوقت نفسه، ستُغرم بالمذاق الرائع للآيس كريم.

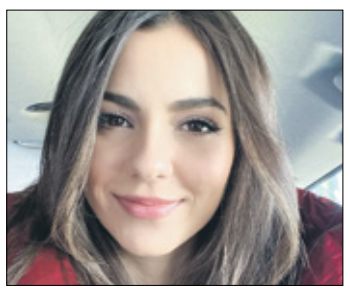

■ A Perfect Pairing لستيورات ماكونالد، تمثيل فيكتوريا جاستس (الصورة) وكريغ هورنر ولوسي دوراك: كي تتمكّن من الحصول على عقد عمل جديد، تتسلّل مديرة تنفيذية في شركة نبيذ فاخر في لوس أنجليس إلى مزرعة للأغنام في أستراليا. هناك، تلتقي رجلاً محلياً، غامضاً وعابساً، فتشعر بحشرية التعرّف إليه أكثر، ما يضعها أمام تحدّيات ومواقف صعبة وعنيفة أحياناً.

■ Our Father وثائقي للوسي جوردان (الصورة): يستعيد هذا الوثائقي «الفظائع غير الموصوفة»، التي ارتكبها طبيبٌ متخصّص بالخصوبة، يُدعى دزنالد كلاين، وممارساته الشنيعة بحقّ عائلات بريئة. فضح الطبيب حاصلٌ بعد أنْ اكتشفت سيدة في أنديانابوليس الأميركية، بفضل اختبار الحمض النووي DNA، أنّ لديها أشقاء عديدين ليسوا أشقّاءها فعلياً، ما دفع بها إلى البحث عن سبب ذلك، فإذا بخطة ميكيافيلية للطبيب نفسه.

■ Toscana لمهدي آفاز، تمثيل كريستينا دِلْ آنّا (الصورة) وغيتا نوربي وأندريس ماتْهسّن: كان عليه السفر إلى توسكانا، لتصفية كلّ شيءٍ، عبر بيع الممتلكات المتفرّقة التي يملكها والده. لكنّ الطاهي الدنماركي يلتقي امرأة مولودة في توسكانا ومُقيمة فيها حياتها كلّها، فيكون اللقاء العفوي مدخلاً له إلى إعادة النظر بمسائل متعلّقة بالحياة والحبّ معاً. لكنْ، هل سيُكمِل تنفيذ خطّته، التي من أجلها جاء إلى توسكانا؟